

تفريغ الدرس الأول من التعليق على "رياض الصالحين"

قال الشيخ أبو حذيفة محمود الشَّيْخ -حفظه الله تعالى-:

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا أيها الإخوة -بارك الله فيكم- المجلس الأول من مجالس شرح "رياض الصالحين".

اهتمَّ العلماء قديما بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وصنَّفوا في ذلك مصنَّفات كثيرة، وألفوا في ذلك مؤلفات جَمَّة، وكانت كتبهم، إما أن تُعنى بالأحكام الشرعية الفقهية، أو بالعقدية، أو بالجمع بينهما، وغير ذلك، وهناك قسم آخر اعتنى به العلماء اعتناءً كبيراً، وألفوا له مؤلفات خاصة؛ من هذه المؤلفات: "الأذكار" التي يستفيد منها المسلم في حياته اليومية، وغير ذلك.

وأيضاً هناك قسم آخر، وهو قسم: الرقائق، والمواعظ، والأخلاق؛ لأنه ينبغي لطالب العلم، والمسلم، وطالب العلم من باب أولى = أن يحرص على أن يُربي نفسه، لا يكفي أن يحمل عقيدة صحيحة، ويسير فيها بين الناس، بل لابد أن تؤثر هذه العقيدة فيه أولاً، بأن يطلب العلم ليعمل به قبل أن يأمر به غيره، ومن هنا كان الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- يُركِّز على جانب "التصفية والتربية"، ويقول: "أننا استطعنا أن نصل إلى جميع أنحاء الأرض من حيث المنهج السلفي الصحيح؛ منهج أهل السنة والجماعة، لاتجد مكاناً على وجه الأرض إلا وتجد له أثراً في السنة" وهذا من باب التصفية، قال: "ولكن تنقصنا التربية"؛ تنقصنا كمسلمين، وكسلفيين، وكطلاب علم، لذلك كان دائماً وأبداً يُدندن حول هذه الكلمة التي صارت تُعرف له "التصفية والتربية" التصفية: تصفية العقيدة من شوائب الشرك، والبدع، والمُحدثات، وغير ذلك، والتربية: تربية النفس، وتهذيب النفس.

لذلك طالب العلم دائماً وأبداً يُركِّز على هذا الجانب = أنه يريد أن يُصفي نفسه من العقائد الخاطئة، وذلك يكون بطلب العلم من الكتاب والسنة، وما فهمه علماء السنة، وأيضاً لابد لهذا العلم أن يؤثر فيه أولاً حتى يكون مؤثراً في غيره، وكذلك حتى يُؤجر من الله -سبحانه وتعالى-، فلا يخفاكم أن أول مَنْ تُسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة، منهم: حافظ لكتاب الله، عالم بأحكامه، ولكنه لم يحفظ ذلك، ولم يتعلم الله، وإن كان الناس يظنون ذلك، إنما فعل ذلك ليقال أنه حافظ، وقد قالوا: فيوم القيامة يؤتى به فيكب على وجهه في النار -عياذا بالله-، فلنحرص دائماً وأبداً على هذه الناحية.

طالب العلم كذلك: ينظر إلى ما يحتاجه من كتب علمية، وفقهية، وعقدية، [و] في مصطلح الحديث، [و] في اللغة العربية، [و] في أصول الفقه، [و] في التفسير، وغير ذلك، كذلك يجعل له نصيبا مهما في باب الرقائق والمواظ.

هذا الكتاب الذي بين أيدينا اعتنى به العلماء اعتناء كبيرا لأنه يعطي لهذا الطالب، ما يحتاج إليه في باب الرقائق والمواظ، وتربية النفس وتهذيبها، كتاب "رياض الصالحين"، هذا الكتاب للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي؛ أي: من "نَوَى"، وهي قرية من أعمال دمشق، تابعة لسهول حوران بجانب أرض الجولان، فصار يُعرف بالنووي نسبة إلى هذه القرية، وإن كان عاش فترة طويلة؛ قريبا من ثلاثين عاما، أو ثمان وعشرين عاما في دمشق؛ فهو دمشقي كذلك، ولكن أصله من نَوَى، مدينة أو قرية معروفة، ولد النووي -رحمه الله- سنة 631 للهجرة، وتوفي سنة 676 للهجرة، لم يُعمر طويلا، مات وعمره 45 سنة، ولكنه ترك إرثا عظيما، نحسبه -ولا نُزكّيه على الله- أنه كان من أهل الإخلاص، وكان قد وصل حب العلم في قلبه موصلا قويا وكبيرا، حتى أنه لم يتزوج، وليس لأنه يُحرّم الزواج، أو يكرهه، أو شيئا آخر؛ إنما لأن العلم قد أخذ كل وقته، وهذا ما حصل مع شيخ الإسلام ابن تيمية، تفرّغ لطلب العلم، حتى أنه لم يجد تفكيراً للزواج، وهذا لا يُؤاخذ عليه، فالزواج سنة؛ قد يكون واجبا، وقد يكون مباحا، وقد يكون مكروها، وقد يكون محرّما في بعض الأحيان، لا يُقاس على ذلك شيخ الإسلام، ولا النووي، ولا غيرهما ممن كان له ظرف خاص، حيث أنهما اشتغلا بطلب العلم، ولكن لم يُحرّماه، ولم يكرهاه لذاته، فلينبّه إلى هذه النقطة، وهذه أيضا مسألة مهمة، عندما يصبح العلم عندك هو الأساس كأنه هو طعامك، وشرابك، وكل حياتك، حتى الزواج لا تفكر فيه، يعني الإنسان كما ذكر عن شيخ الإسلام [أنه] قال: "نَسِيتُ"، قد ينسى الإنسان أشياء معينة، لكن الزواج غريزة في الإنسان، فكيف ينسى الزواج؟

هذا يُجاب عنه: بأن العلم قد شغل كل تفكيره، فصار مثله ينسى الزواج، نحن لا نريد أن ننسى الزواج، ولا نريد أن ننسى الدنيا، نسأل الله العظيم، ربّ العرش العظيم أن يحبّب في قلوبنا العلم الذي يوصلنا للإيمان، وأن يحبب في قلوبنا الإيمان الذي يوصلنا لطاعة الرحمن -سبحانه وتعالى-.

هذا الكتاب الذي ألفه النووي -رحمه الله تعالى- "رياض الصالحين" هو من الباب الذي ذكرته قبل قليل في باب الرقائق والمواظ، وتربية النفوس، وتهذيبها، كتاب مهم جدا، كتب الله له القبول فاعتنى به العلماء اعتناء كبيرا، وحرصوا على تدريسه، وشرحه، والتعليق عليه، وكذلك حفظه، حتى أن كثيرا من العلماء يُوصي أن يُحفظ هذا الكتاب، وأمره سهل لمن سهّله الله عليه، ووفقه له، ممكن أن تحفظه يا طالب العلم، مع الأخذ بالأسباب؛ أسباب الحفظ، وهو المتابعة، والمثابرة، والحفظ يوما بعد يوم، وليست القضية = قضية كثرة حفظ، وإنما القضية = تثبيت؛ أن تُديم

الحفظ حتى تثبت المحفوظات في قلبك، وفي صدرك، مع الأيام ستجد عندك صار مخزوناً كبيراً من الحفظ، المشكلة فينا أننا ننظر إلى الكتاب من أوله، فإما أننا نراه كبيراً = فنكسل عنه، وإما أن نرى أنفسنا نشطين فنبدأ بالحفظ كثيراً، وما يلبث الإنسان = أن يفتر، فيترك، فينسى، فتضيع الفرصة، وتمضي الأيام فيبقى الكتاب كبيراً، ولا زال الإنسان قاصراً؛ لذلك علينا أن نسدّد، وأن نقارب، لا ننظر إلى كثرة الأحاديث، وحجم الكتاب، ولا ننظر إلى نشاطك في لحظة معيّنة، أو إلى ضعفك في لحظة أخرى، وإنما خُذ الأيسر، النبي -صلى الله عليه وسلم- يحبّ المداومة على العمل وإن قلّ، خذها قاعدة تستفد منها -إن شاء الله تعالى-.

سأسير بطريقة التعليقات، وليس الشرح المطول، فليس هذا محلّه حقيقة، إنما سأبحث عن تعليقات، أسأل الله أن تكون مناسبة، ومفيدة لطالب العلم، والتعليقات تكون من كلام العلماء؛ من الشيخ العثيمين خاصة، لأن له شرحه على [رياض الصالحين] للنووي، ومن [عند] غيره من العلماء إذا احتجت إلى ذلك، وإذا رأيت أنه ثَمّت فائدة يُمكن أن أذكرها [فإني] أذكرها، أو أحيل إلى مكانها، حتى يسهل عليك الرجوع إليها، وكذلك نمضي في هذا الكتاب، فالوقت قد لا يُسعفنا أن نطيل في كل حديث؛ بأن نأتي على جميع فوائده.

نقرأ مقدمة النووي، ونسأل الله التوفيق لنا ولكم، والله المستعان.

قال المؤلف -رحمه الله-:

(الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مَكُور اللَّيْلِ على النَّهَارِ، تَذَكُّرَةُ لأولي القلوب والأبصار، وتَبَصُّرَةٌ لِذَوِي الْأَبَابِ وَالْأَعْيَابِ، الَّذِي يَقْطَعُ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ اصْطَفَاهُ فَزَهَّدَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَشَغَلَهُمْ بِمُرَاقَبَتِهِ وَإِدَامَةِ الْأَفْكَارِ، وَمُلَازِمَةِ الْإِتْعَاطِ وَالِادِّكَارِ، وَوَفَّقَهُمْ لِلدَّابِ فِي طَاعَتِهِ، وَالتَّأَهُبِ لِإِدَارِ الْقَرَارِ، وَالْحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ وَيُوجِبُ دَارَ الْبَوَارِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الْأَحْوَالِ وَالْأَطْوَارِ، أَحْمَدُهُ أَبْلَغَ حَمْدٍ وَأَزْكَاةً، وَأَشْمَلُهُ وَأَنْمَاءً، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، الْهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَوِيمٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَآلِ كُلِّ، وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

أما بعد:

فقد قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا} [الذاريات: 56 - 57]، وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلْعِبَادَةِ، فَحَقُّ عَلَيْهِمُ الْإِعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ حُطُوطِ الدُّنْيَا بِالزَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ

نَفَادٍ لَّا مَحَلَّ إِخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَّا مَنَزَلَ حُبُورٍ، وَمَشْرَعُ انْفِصَامٍ لَّا مَوْطِنُ دَوَامٍ،
فَلِهَذَا كَانَ الْأَيْقَاطُ مِنَ أَهْلِهَا هُمُ الْعِبَادُ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُمُ الزُّهَادُ.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [يونس: 24]. والآيات في هذا المعنى كثيرة .
ولقد أَحَسَّنَ الْقَائِلُ:

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا	طَلَّفُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عِلْمُوا	أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطْنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا	صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْنَا

فَإِذَا كَانَ حَالُهَا مَا وَصَفْتُهُ، وَحَالُنَا وَمَا خُلِقْنَا لَهُ مَا قَدَّمْتُهُ؛ فَحَقَّ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ
يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ الْأَخْيَارِ، وَيَسْلُكَ مَسْلَكَ أُولَى النُّهَى وَالْأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ لِمَا أَشْرَتْ
إِلَيْهِ، وَيَهْتَمَّ بِمَا نَبَّهَتْ عَلَيْهِ. وَأَصُوبُ طَرِيقٍ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَرْشَدُ مَا يَسْأَلُكَ مِنَ الْمَسَائِلِ،
التَّأَدُّبُ بِمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَكْرَمِ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}
[المائدة: 2] وقد صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: "وَاللَّهُ فِي عَوْنِ
الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" [مسلم: 2699]، وَأَنَّهُ قَالَ: "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ
مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ" [مسلم: 1893]، وَأَنَّهُ قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ
مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا" [مسلم: 2674]، وَأَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ
-رضي الله عنه-: "قَوْلَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ"
[البخاري: 2942، ومسلم: 2406]، فَرَأَيْتُ أَنْ أَجْمَعَ مَمْتَصِرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ
الصَّحِيحَةِ، مُشْتَمِلًا عَلَى مَا يَكُونُ طَرِيقًا لِصَاحِبِهِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَمُحَصِّلًا لِآدَابِهِ الْبَاطِنَةِ
وَالظَّاهِرَةِ. جَامِعًا لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ آدَابِ السَّالِكِينَ: مِنْ أَحَادِيثِ الزُّهْدِ
وَرِيَاضَاتِ النُّفُوسِ، وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَطَهَارَاتِ الْقُلُوبِ وَعِلَاجِهَا، وَصِيَانَةِ الْجَوَارِحِ
وِإِرَالَةِ اغْوَجَاجِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعَارِفِينَ.

وَأَلْتَزِمُ فِيهِ أَنْ لَا أَذْكَرَ إِلَّا حَدِيثًا صَحِيحًا مِنَ الْوَاضِحَاتِ (أَحَادِيثُ ذَكَرَهَا فِي هَذَا
الْكِتَابِ، أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ، لَكِنَّهُ التَّزَمَ بِمَا وَعَدَ بِهِ؛ بِمَا يَرَاهُ هُوَ صَحِيحًا عِنْدَهُ، وَهُوَ أَهْلُ
لِلْبَحْثِ فِي صِحَّةِ الْأَحَادِيثِ وَضَعْفِهَا (مُضَافًا إِلَى الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَاتِ).
وَأَصْدَرَ الْأَبْوَابَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ بِآيَاتٍ كَرِيمَاتٍ) أَي: أَبْدَأُ الْبَابَ الَّذِي أُرِيدُهُ بِآيَةٍ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ بِمَا يَنَاسِبُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْكَرُ الْحَدِيثَ (وَأَوْشَحَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَى ضَبْطٍ أَوْ شَرْحٍ
مَعْنَى خَفِيٍّ بِفَنَائِسٍ مِنَ التَّنْبِيهَاتِ) بَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْمَعَانِي، أَوْ فَائِدَةٍ لِمَا
يَحْتَاجُهُ الْقَارِئُ (وَإِذَا قُلْتُ فِي آخِرِ حَدِيثٍ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ فَمَعْنَاهُ: رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)
لأن كلمة "متفق عليه" اشتهرت عند العلماء بما رواه البخاري ومسلم، وإن كان
بعض العلماء يذكر المتفق عليه بما رواه البخاري ومسلم وأحمد، وهناك أقوال أخرى
في المتفق عليه، ولكن الأشهر أن المتفق عليه هو ما اتفق عليه الشيخان؛ البخاري
ومسلم.

(وَأَرْجُو أَنْ تَمَّ هَذَا الْكِتَابُ) [هذا الكلام] دليل على أنه بدأ بهذه المقدمة قبل أن ينتهي من الكتاب، يعني: هنالك علماء يصنفون أو يؤلفون تأليف معيناً قبل أن يضعوا مقدمة، وإن كان اسمها مقدمة؛ أي: مقدمة لما بعدها وتوطئة لها، ولكن هناك علماء يضعون مقدمة بعد أن ينتهوا من عمل الكتاب، وهذا موجود؛ لأن المقدمة في النهاية، المراد منها: تبين مادة الكتاب، ويأتي المؤلف بطريقة جميلة عادة = إما بسجع، وإما بما يُناسب مقام الكتاب، فهذا ما يُسمّيه العلماء ببراعة الاستهلال، من خلال قراءتك للمقدمة تفهم ماذا يحتوي هذا الكتاب، ومن هنا يقال لطالب العلم: إذا اشتريت كتاباً فاقرأه قبل أن تضعه في رفّ مكتبتك، وإن لم تستطع قراءته كاملاً، أو كان عندك شيء يشغلك عن قراءته، على الأقل اقرأ المقدمة حتى تعرف ماذا يحوي هذا الكتاب، إلى أن ييسر لك الله فتقرأه جميعاً (أَنْ يَكُونَ سَائِقاً لِلْمُعْتَنِي بِهِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، حَاجِزاً لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمُهْلِكَاتِ. وَأَنَا سَائِلٌ أَخاً انْتَفَعَ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايِخِي، وَسَائِرِ أَحِبَّائِنَا، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ. وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي) هذا طلب ورجاء من الحافظ النووي، وله حق علينا -رحمه الله-؛ أن ندعو له، وندعو لوالديه، فنسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يغفر له، وأن يعفو عنه، وأن يجعله ممن كتب له قدم صدق، وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى بصحبة الذين أنعم الله عليهم؛ من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، مع والديه، وأحبّته من المسلمين أجمعين (وَاللَّيْهَ تَفْوِضِي وَاسْتِنَادِي، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).

بدأ المؤلف بعد ذلك -رحمه الله- بالبَابِ الأول؛ باب عظيم جدّاً، بل هو نصف الدين، بل هذا الدين؛ الذي لا بدّ لكل مسلم أن يُراعيه، ولطالب العلم أن يحرص عليه (باب الإخلاص) يقول سفيان -رحمه الله-: "ما عالجْتُ شيئاً أشدَّ عَلَيَّ مِنْ نَيْتِي؛ لأنها **تَنْقَلِبُ عَلَيَّ**"، **يُرَوِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ** كان في سرية من السرايا يُقاتل الروم، فخرج رجل روميّ، وطلب من يُبارزُه من المسلمين، فخرج رجل مسلم فقتله الرومي، ثم طلب أن يُبارزَه المسلمون، ثم خرج رجل آخر من المسلمين فقتله الرومي، حتى خرج عبدُ الله بن المبارك، وكان يُخفي وجهه، كان مُكَمِّماً وجهه؛ متلثماً، فخرج إلى ذلك الرومي فقتله، فأعجب المسلمون به، فأرادوا أن يعرفوه، حتى كشف عنه راوي الحديث الذي ذكر هذه القصة **عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَرْوَزِي**، فكشف عنه يُريد أن يعرفه، فقال له ابن المبارك: "**وَأَنْتَ يَا أَبَا عَمْرٍو مِمَّنْ يُشْتَبَعُ عَلَيْنَا**" يعني: حتى أنت تريد أن تُشْتَبَعَ علينا؛ أن تُظهِرنا، نريد أن يكون هذا الأمر لله. ما أحوجنا إلى الإخلاص.

بدأ المؤلف **بِبَابِ الإخلاص**، [و] بدأ البخاري -رحمه الله- في كتاب "الصحيح" بباب الإخلاص = في حديث الأعمال بالنيّات، وهذا أمر مهم جداً؛ لأنه لا خير في عمل، [ولا] في عبادة، [ولا] في طلب علم، [ولا] في حفظ حديث = ليس لله، ويقول

الله -سبحانه وتعالى- في الحديث الصحيح: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري = تركته وشركه".

قال المؤلف -رحمه الله-:

1- باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال البارزة

والخفية.

تستطيع أن تقول: (بابُ الإخلاص) باب: تكون مضافاً، والإخلاص: مضافاً إليه، طبعاً (باب) هي عبارة عن خبر لمبتدأ محذوف؛ تريد أن تقول: هذا بابُ الإخلاص، أو تستطيع أن تقول: بابُ الإخلاص، يعني: تستطيع أن تجعل الإخلاص مضافاً إليه مجروراً، وتستطيع أن تجعله مرفوعاً؛ بابُ الإخلاص، أو بابُ الإخلاص (وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال البارزة والخفية).

{قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة : 5]، وَقَالَ تَعَالَى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} [الحج : 37]، وَقَالَ تَعَالَى: { قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ } [آل عمران: 29].

بدأ المؤلف بهذه الآيات، وهذه آيات مهمة وعظيمة، أننا مأمورون بعبادة الله وحده، ولكن (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) لا تنفع العبادة من غير إخلاص؛ فشرط قبول العمل: الإخلاص؛ هذا الشرط الأول، مهم جداً. والشرط الثاني: هو المتابعة؛ أن يكون بدليل من الكتاب والسنة، تابعا للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

إن فقد أحد الشرطين هذا العمل لم يُقبل عند الله -سبحانه وتعالى-، فنحن مأمورون أن نُقيم الصلاة، وأن نُؤتي الزكاة، أن نعبد الله (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) وهذا [هو] الدِّينُ الْقَيِّمُ المقبول عند الله -سبحانه وتعالى-.

وَقَالَ تَعَالَى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} نعم أنتم تفعلون أفعالا بأيديكم، وتنفقون بأموالكم، نعم تنحرون، وتذبحون، وتزهقون الدماء، وتنفعون من جهدكم ووقتكم، لكن هل هذا مقبول؟ أو هذا هو الذي طلبه الله منكم؟ يريد أن يأكُل منه، أو ليشرب منه، ماذا يستفيد من ذلك الله -سبحانه وتعالى-؟ يريد من ذلك أن يرى التقوى منكم، وهذا مَحَلُّه في القلوب، الناس قد تشرك على ما فعلته، ولكن الله

-سبحانه وتعالى- يعلم ما فعلته؛ هل كان لله، أم لغير الله؟، لذلك قال الله -تعالى- في الآية التي ذكرها المؤلف { قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ } الناس

لها الظاهر، لكن الله - سبحانه وتعالى - يعلم الظاهر والباطن؛ قال الله تعالى: {إِنَّهُ عَلَى رَجْعَةِ لَقَائِرِ يَوْمِ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} [الطارق: 8-10] أي: يوم تُختبر البواطن؛ في الدنيا تفعل أفعالا ظاهرة، الناس لا بد أن تُحاسبك على ما ظهر منك، ولكن يوم القيامة الله - سبحانه وتعالى - يأتي ليبتلي باطنك، ويُظهر ما كنت تُخفيه، ذلك اليوم = يوم فضائح كثير من الناس، نسأل الله السلامة.

بدأ المؤلف بعد ذلك بالحديث الأول:

هذا الحديث حديث عظيم، حديث ذكر بعض العلماء أنه نصف الدين؛ لأنه الباطن منه، حديث "الأعمال بالنيات"، النصف الثاني هو حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها -؛ حديث "مَنْ عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ" وهذا هو الظاهر، فكلاهما يجمع أمر الدين؛ لذلك عدّه بعض العلماء - هذا الحديث الذي معنا الآن - هو نصف الدين.

قال المؤلف - رحمه الله -:

1- وعن أمير المؤمنين أبي حَفْصِ عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العزّي بن رياح بن عبد الله بن قُرْطِ بن رَزَاح بن عدي بن كعب بن لُؤَيِّ بن غالب الفُزَريّ العدويّ - رضي الله عنه -.

أول مَنْ لُقِبَ بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أشار بذلك عليه المُغيرة بن شُعبة - رضي الله تعالى عنه -، فكان أول لقب، لماذا؟ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد مماته كان يُقال لأبي بكر بعدما صار خليفة "خليفة رسول الله" ثم مات أبو بكر وجاء عمر فصار الناس يقولون "خليفة خليفة رسول الله" فهذا الأمر يطول ويشقُّ، لو جاء عثمان سيُقال "خليفة خليفة خليفة رسول الله" لذلك اختُصرت هذه فقالوا: "أمير المؤمنين" ثم ذهبت إلى مَنْ يتولى أمر المؤمنين بأن يُقال "أمير المؤمنين" يجتمع نسبُه مع نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - عند (كعب) أي: يلتقي معه في الجد السابع.

من باب الفائدة: عندما تقرأ الاسم كاملاً مثل ما عندنا هنا (عمر بن الخطاب) لاحظ (عمر) هي اسم مجرورة لكنها ممنوعة من الصرف، مجرورة بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والعدل، أصلها من "عامر"، الآن بعد ذلك تأتي تقول (ابن الخطاب) ابن الخطاب هذه تأتي أيضاً مجرورة، لو أتى بمثال أفضل مثلاً: قال عمر بن الخطاب، سأقرأ بلفظ قال حتى أتى أن تكون عمر مرفوعة حتى نعرف كيف تُقرأ، قال عمر بن الخطاب، لاحظ كيف أقرأ (قال عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُزط بن رزاح... القرشي العدوي) لاحظ بدأت ب: (عمر) بالضم، ثم كسرت بعد ذلك (بن) لأنها مضاف إليه، وبعد ذلك كله يأتي بدل مجرور، بدل مجرور، طالما أنني مازلت أقول (عمر بن الخطاب بن نُفيل) إلى أن أصل إلى النسبة (القرشي العدوي) أرجع إلى الأول بالرفع؛ عمر من هو؟ عمر (القرشي العدوي) فرفعت مرة أخرى، تنبهوا لهذه يخطأ فيها الكثير.

(قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ. رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرِّزْبَةَ الْجُعْفِيُّ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي "صَحِيحَيْهِمَا" اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمَصْنُفَةِ).

هذا الحديث حديث عظيم، وكما ذكرنا -يا إخوة- يقول [بعض] العلماء هذا نصف الدين، النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) هل (لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) تشبه (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) من حيث المعنى؟ يعني: الجملة الثانية جاءت تأكيداً للجملة الأولى أم تأسيساً، جاءت بشيء جديد؟

اسمع هذه الفائدة يذكرها الشيء العظيم كثيرا "الأصل في الكلام أن يأتي للتأسيس، وليس للتأكيد إلا إن جاءت قرينة نأخذ منها التأكيد" يعني: قال بعض العلماء (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) ف (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) تأكيد للأولى (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) يعني: نفس المعنى، ولكن من باب التأكيد، يقول العثيمين: "هذا خطأ" لماذا؟ "لأن الأصل أن الجملة التي تأتي بعد جملة يراد بها التأسيس" تأسيس معنى جديد = معنى آخر، وإن قلنا بالتأكيد، فلا بد أن تأتي بقرينة، أن نخرج عن التأسيس، يعني: الذي يقول الشيخ العثيمين، معنى (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) ليس معنى (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) فهذه لها معنى، وهذه لها معنى مختلف؛ معنى ذلك: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) أي: لا يوجد عمل في الدنيا إلا وله نية، واضح؟ وحتى أن بعض العلماء قال: "أن تأتي بعمل لا نية فيه = تكيف بما لا يُطاق" لا يوجد عمل ليس له نية، ما هي النية؟ ليس هنا السؤال، المهم أن لكل عمل نية، هذا معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) طبعاً جاءت ألفاظ كثيرة لهذا الحديث، جاءت في بعض الألفاظ بالإفراد "إنما الأعمال بالنية".

قال: (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) هذه المسألة الثانية الجديدة، أي: اعلم أن لكل عمل عندك [فيه] نية، ثانياً: هذا العمل بما نويته، قد يكون العمل نويته لله، وقد تكون نويته لغير الله، هذا معنى (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) أي: لكل امرئ ما نواه من عمله؛ فإن نويته لله أُجرت عليه، وإن نويته لغير الله لم تُأجر عليه، هذا نتكلم عن العمل الواحد، وقد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- مثلاً يوضح لك هاتين الجملتين (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) ضرب النبي -صلى الله عليه وسلم- مثلاً؛ وهذا أفضل شيء في التعليم، أن تضرب المثال، قال: (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ) إذن: فالمثال هو الهجرة، هذا هو العمل، هذه الهجرة عمل، وهذا العمل له نية، ماهي النية؟ يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) إن كانت نيتك في عملك: "أنا هاجرت لله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-" هذه النية الخالصة قال (فهجرت إلى الله ورسوله) أي: تُأجر على ذلك، وتأخذ أجرَك حتى وإن لم تستطع أن تتمَّ العمل كما قال تعالى: {وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} ¹ كاملاً كأنه فعله. (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) هذه النية الصالحة لهذه الهجرة.

قال: (وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ) ليس لله ورسوله، إنما لشيء آخر، قال: (لِدُنْيَا يُصِيبُهَا) مالا، تجارة، علماً دنيوياً (أَوْ امْرَأَةً يُنْكَحُهَا) ذهب للزواج (فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) يأخذ أجر هجرته الدنيوي، ذهب يتزوج = يأخذ أجر الزواج، يعني: أصل الهجرة عبادة: أن تُهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ" [البخاري: 2783، ومسلم: 1863] وسنتكلم عن ذلك -إن شاء الله تعالى- في الدرس القادم باستفاضة أكثر "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ" أي: بعد فتح مكة لا تتعبد بالهجرة من مكة إلى المدينة لأنه "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ" ولكن الهجرة لا تنقطع، بل باقية إلى يوم القيامة، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: "لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا" [أبو داود: 2479] المقصود بالهجرة التي لا تنقطع: هي الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، فَهَبْ أن رجلاً هاجر من دار الكفر إلى دار الإسلام فهل يقال أنه هاجر لله ورسوله؟ الله أعلم؛ إذا كانت هجرته في نيته هاجر لله ورسوله فهذا أجره على الله، ويُأجر على ذلك، فهذا مجاهد إلى الله بهجرته، وله أجر عظيم، ويأخذ الأجر القويم، ولكن لعله هاجر من بلاد الكفر لدنيا، يريد أن يعمل في بلاد المسلمين، أو أنه سمع بامرأة لا يستطيع أن يتزوجها إلا في بلاد المسلمين فهاجر إليها، فهل يقال: أنه مهاجر إلى الله ورسوله من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام؟ لا يقال ذلك، وإن كان فعل نفس الفعل، لماذا؟ لأن لكل امرئ ما نواه، والله تعالى أعلم.

¹ سورة النساء، الآية: 100.

هذا الحديث فيه أبواب كثيرة، وفوائد مهمة جدًا، فقط أن أحيلكم لشرح الشيخ ابن عثيمين في مسألة مهمة، في مسألة الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، والسفر إلى بلاد الكفر، فصل الشيخ العثيمين هنا تفصيلاً طيباً²، وفي كتب أخرى فصل ذلك، في "[شرح] الأصول الثلاثة"، و"[شرح كتاب] التوحيد"، وغير ذلك = ذكر هذا المبحث المهم، باب الهجرة، أو باب السفر، سواء الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، أو السفر من بلد الإسلام إلى بلد الكفر، ضوابط ذلك، وما يحرم منه، وما يجوز منه، فأحيلك أن ترجع إليه، وأن تقرأه لتستفيد منه، لكن المهم: الذي نعرفه أننا يجب علينا أن نصح نياتنا، وأن تكون أعمالنا خالصة لله - سبحانه وتعالى -، وحرص -يا طالب العلم- قبل أن أنهى -خاصة في المسائل النقاشية الجدلية التي تحدث في الإنترنت، على وسائل التواصل، أو في الكتب والردود، وغير ذلك- احرص على أن تُصحَّ نيتك، وأن تراجع نفسك دائماً وأبداً، يقول شيخنا الرملي -حفظه الله تعالى وكتب له الأجر والمثوبة-: "**حاول أن تجدّد نيتك قبل كل كلمة تتكلم فيها**" في أمر دين الله = احرص أن تتكلم لغير الله، وهذا يدخل في المراء والجدال الممقوت عند الله - سبحانه وتعالى -، والأمر خطير جداً، والكثير من الناس يتكلم أموراً دينية، ويكون صاحب حق من حيث الكلام، ولكن هل هذا كان يتكلم لله؟ هو يعرف نفسه، لذلك أن نربّي أنفسنا، وأن نراقب نياتنا، وأن نعالج الإخلاص في قلوبنا، فهذا شيء عظيم، ومولج خطير للشيطان، ولا تترك العمل الصالح بعد ذلك خوفاً من الرياء، لا، عالج نيتك، واعمل العمل الصالح، فترك العمل الصالح خوفاً من الرياء = هو من الرياء كما ذكر العلماء، ولكن أنت جدّد نيتك، وصحح، وعالج، وأخلص لله - سبحانه وتعالى -، ثم انطلق ولا تتوقف، وتذكر قول سفيان: "**ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليّ من نيتي؛ لأنها تتقلب عليّ**".

نتوقف عند هذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبارك الله فيكم، نسأل الله العظيم أن يُتمّ لنا هذا الكتاب، لنا ولكم، وأن نستفيد منه جميعاً، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن ننتفع به في الدنيا، وأن ننتفع به في الآخرة، وأن يرضى الله - سبحانه وتعالى - عنا، وأن يوفقنا وإياكم لطلب العلم النافع، الذي نعمل به، ونستفيد منه، ونفيد به غيرنا، اللهم أصلح قلوبنا أجمعين، واغفر لنا يا ربّ العالمين، وأزل عنا أسباب الخلاف والفتن، وبارك الله فيكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

² شرح رياض الصالحين (19-27/1).